سوسيولوجيا الأدب وسوسيولوجيا الكتابة

الطاهر روابنية
جامعة عنابة

1 - سوسيولوجيا الأدب والبنوية التوليدية:

تشير الدراسات المهتمة بالبحث في مجال مناهج النص أن سوسيولوجيا الأدب أصبحت من المفاهيم العتيقة، وذلك بالنظر إلى ما تحقق في هذا الميدان من تطور منهجي ومن تراكم نظري، وما أنجز من مداخلات عديدة أسهمت في تأسيس حقل مستقل للتفكير والبحث؛ لعبت فيه الماركسية أو المادية التاريخية -دون أدنى شك- دورا موجها، وخلفية مرجعية للمناقشات النظرية، بخاصة في معهد بروكسيل لسوسيولوجيا الأدب، حيث تشكل أعمال لوسيان غولدمان أساسا لما أصبح يعرف بالبنوية التوليدية.

يتصدر هذه الأعمال الإله الخفي le dieu caché الصادر سنة 1955(1) ويهتم فيه بدراسة الرؤية المأساوية في فكر باسكال Pascal، ومسرح راسين Racine، ومن أجل سوسيولوجيا للرواية

الصادر سنة 1964، ويركز فيه على دراسة أعمال أندريه مالرو الروائية، منطلقا في ذلك من منظور البنوية التوليدية، من أجل البحث عن التماثل البنوي الذي يمكن أن يقوم بين إيديولوجية الفئة الإجتماعية وفكر العمل الأدبي، وهذا انطلاقا من كون الفئات الإجتماعية هي المنتجة الحقيقية للإبداع الثقافي، وقد استعمل لوسيان غولدمان مفهوم رؤية العالم لتجسيد هذه الغاية، حيث يرى أنه «على عاتق الكاتب المتميز يقع نقل هذه الرؤية نحو أعلى قدر ممكن من الوعي، مع الاحتفاظ، على مستوى المتخيل، بتمثيل مبنين»(2)، لكن ما يؤاخذ عليه غولدمان هو إقراره بوجود تطابق ما بين رؤية العالم كواقع وبين رؤية الكون المبدع من ناحية، وبين هذا الكون وما يمكن تسميته بعالم الأشكال والوسائل الأدبية الخالصة(3).

وقد وصل انتقاد مشروع غولدمان إلى اعتباره تحريفا من قبل الماركسيين، ورفضه وانتقاصه من قبل البنويين، انطلاقا من كون البنوية التوليدية تتضمن رؤية جدلية تنزع إلى تجاوز بعض حدود البنوية، بالإضافة إلى أن إعجاب بارت به تحول في النهاية إلى اتهامه بتبني حتمية متنكرة(4)، لكننا مع ذلك يمكن أن نقر لغولدمان بأنه قدم من خلال البنوية التوليدية تصورا منهجيا ذا حمولة إيديولوجية، يستند إلى رؤية العالم كنموذج تفسيري أكثر تحديدا، وهو ما أضفى على التحليل الغولدماني نوعا من التقصي والتعمق التأويلي لبنى النصوص الأدبية، لم يسبق إليه من قبل، وعلى الرغم من أن النموذج النظري والمنهجي الذي بلوره غولدمان انطلاقا مما أنجزه كل من لوكاش ورونيه جيرار R. Girard وغيرهما قد بدا اليوم قابلا للنزاع، فإننا يجب أن نقر بأنه قدم انسجاما وصرامة منهجية متميزة لا نجد ما يعادلها في مقاربات النصوص الأدبية في السنوات الأخيرة التي اصطلح على تسميتها بما بعد البنوية على الرغم من أن هذه المقاربات جاءت لتكمل ما وقفت

البنوية التوليدية دونه، وهو المظهر الشكلي أو البلاغي أو الكتابي للنصوص الأدبية بخاصة مع بارت، الذي كان معنيا بدرجة أكثر بالبحث عن معنى الأشكال، حيث يرى أن الأشكال لا تخضع إلا بصورة غير مباشرة للتأثير الاجتماعي «ذلك أن لغة الكاتب، معلقة بين أشكال مندثرة وأخرى مجهولة، هي حد أقصى أكثر مما هي اعتماد دائم»(5)، وهو ما جعله في كتابه (درجة الصفر للكتابة) -بخاصة- يولي اهتماما كبيرا لتأثير التطور التاريخي على إيقاعات تحولات الكتابة الأدبية، وقد جاء كتابه S/Z تتويجا لهذا التصور النظري، حيث أنجز من خلال دراسته لقصة سارازين لبلزاك قراءة تحليلية نصانية متأنية (خطوة خطوة) لخطاب الكتابة، وكانت غايته من خلال تحليله لأصغر وحدات المعنى lexies الوصول إلى النص الجمع، النص المتعدد الذي تمنح قراءته في كل مرة ما يمكن أن يكتب.

وعلى العموم فإنه يتحتم علينا أن نقر بأن ما تحقق من تطور في مجال التنظير الأدبي، قد أسهم في إعادة النظر في مفهوم الأدب، بخاصة فيما يتعلق بالمقاربات السيميائية، بالإضافة إلى ما عرفته المناهج السوسيولوجية من تزايد وتوسع شمل سوسيولوجيا الثقافة والمعرفة والتلقي والقراءة، وهو ما يدعونا إلى التساؤل عما ننتظره من سوسيولوجيا الأدب؟ وهنا يجب أن نتفادى الإجابة المدرسية، وأن نقول مع شيء من الطموح والانفعالية، إن سوسيولوجيا الأدب تدعونا إلى الاهتمام بتحليل الأسس الاجتماعية للإنتاج والتلقي الأدبي، وإنه على الدارس الاجتماعي كما يرى بيير زيما P.V. Zima أن ينخرط في طريقين متباينين جدا:

1 – يستطيع أن يقرر ألا يهتم إلا بالعناصر الخارجة عن النص الأدبي: موقف المؤلف داخل المجتمع، سوق الكتاب، جمهور حقبة ما أو على مر الحقب، النشر ... إلخ.

2 – يستطيع أيضا من خلال تبنيه لمنظور متميز أن ينظر إلى البنية النصية على أنها تتوسط البنى الاجتماعية و/أو الاقتصادية، تنفتح عليها وتدمجها في نسقها الخاص، أي تحليل المجتمع وتحولاته التاريخية داخل النص(6).

والملاحظ أنه بالنسبة للتوجه الأول فإن الإشكالية لا تتعلق بسوسيولوجيا الأدب كمنهج، وذلك أن دراسة موقف المؤلف أو المؤلفين في مجتمع ما يقتضي من الدارس الاجتماعي أن يلجأ لأية طريقة مماثلة أو مشابهة لتلك التي تطبق على الطلب، أو على الدور الاجتماعي للسياسي... إلخ.

أما عندما يتعلق الأمر بتصور النص الأدبي (التخييلي) كبنية اجتماعية فإنه على السوسيولوجي أن يخرج عن المخطط المنهجي الخاص بالمجال السوسيولوجي وأن يكيف خطابه العلمي مع تلك الممارسة الدالة وذات الخصوصية المتمثلة في الإنتاج النصاني، وهنا –كما يري بيير زيما P.V. Zima– تطرح إشكالية العلاقة بين السوسيولوجيا والسيميائية؛ حيث تتموقع ضمن هذا التوجه سوسيولوجيا الأدب منهجيا على تخوم سوسيولوجيا جدلية ومادية ذات صلة ما بالنظرية النقدية، وعلى تخوم سيميائية نقدية، وهو ما يحاول تطويره أعضاء مدرسة تارتو école de tartu بإستونيا والسيميائيون الفرنسيون والإيطاليون من أمثال غريماس وكريستيفا وأمبرطو إيكو(7)، وغيرهم.

وفي هذا السياق يرى أيضا جاك دوبوا J. Dubois أن سوسيولوجيا الأدب أصبحت تخصصا عتيقا ومتجاوزا تقبع على مسافة متساوية من النقد السوسيولوجي (السوسيونقد) sociocritique، الذي يعد أكثر اهتماما بالنص، ومن تحليل المؤسسات الأدبية l'analyse des institutions littéraires الذي يعد أكثر صرامة في التوجه نحو الاجتماعي؛ وأنه لم يبق من سوسيولوجيا الأدب سوى تلك

الإسهامات المهمة في مجال الدراسات الأدبية بواسطة مفاهيمها ونماذجها ومناهجها(8).

والملاحظ أن هذا التوجه يدعمه كذلك كلود دوشيه Claude Duchet بشدة مشيرا إلى أن السوسيونقد لا يتجاهل الإنجازات التي حققتها سوسيولوجيا الأدب عند لوسيان غولدمان، ويقترح استبدال مصطلح البنوية التوليدية بمصطلح السوسيولوجيا الجدلية للأدب(9)، لأن التصور الذي يصدر عنه غولدمان هو بدون شك تصور المادية الجدلية والتاريخية؛ ويدعم توجهه نحو السوسيونقد بمقولة غولدمان: النص ولاشيء غير النص ولكن كل النص في المستوى التأويلي والشكلي(10).

وقد بدأ هذا التوجه يتكرس في مقاربة النصوص الأدبية منذ صدور المؤلف الجماعي الذي أشرف على نشره كلود دوشيه سنة 1979 والمعنون بـ«سوسيونقد».

2 - السوسيونقد:

يعد السوسيونقد تتويجا لتقدم البحوث المهتمة بالتحليل الاجتماعي والإيديولوجي للنصوص، ولهذا فإن المعنى الحصري لهذا المصطلح يجعله يتجه نحو النص، ويعد قراءة محايثة له، وبهذا التوجه فإن السوسيونقد ينفتح على ما أنجزه النقد الشكلي في مجال مقاربة النصوص الأدبية، لكن غايته وقصديته أن يشيد استراتيجية تعيد للنص الشكلاني مضمونه الاجتماعي، ولذلك كان الانشغال منصبا على ما للعمل الأدبي في النص من علاقات بالعالم، والهدف من وراء ذلك كله التأكيد على أن كل إبداع فني هو أيضا ممارسة اجتماعية وإنتاج إيديولوجي، وخلاصة سيرورة جمالية؛ وذلك أنه في «الخصوصية الجمالية في حد ذاتها يكمن

البعد القيمي للنصوص، ومن خلاله يجهد السوسيونقد لقراءة حضور الأعمال الأدبية في العالم الذي نسميه اجتماعيتها »(11).

وإذا كان جاك دوبوا J. Dubois يتحدث عن النظام الاجتماعي للنص الأدبي حيث يرى أنه لا يوجد نص دون مكان خارج عنه يجيزه، وبالنسبة إليه تتموقع كتابته وتتحدد ... وهو ما تقوله نظرية التناص بطريقة أخرى(12)، فإن روجيه فايول R. Fayolle يرى أن السوسيونقد يهتم بدراسة نظام الاجتماعي داخل النص وليس النظام الاجتماعي للنص: "le statut du social dans le texte et non le statut social du texte"(13) وهو في هذا ينطلق من كون النقد يتموقع داخل الخاصية الأدبية للغة، وأن أولى اهتماماته دراسة النص، ولكن هذا لا يعني انغلاق السوسيونقد داخل التجريد الشكلاني، أنه لا يوجد نص وأن كل نص يتضمن إشارات للظروف الاجتماعية التاريخية التي توجه إنتاجه وقراءته، وبهذا تصبح مهمة السوسيونقد تفكيك هذه الإشارات، وبخاصة قراء الصراعات الإيديولوجية في مختلف لحظات صراع الطبقات داخل النصوص الأدبية(14).

وفيما يلي يمكننا أن نرصد -على الأقل- ثلاثة توجهات في مجال المقاربات السوسيونقدية للنص الأدبي:

1-2- يرى جاك دوبوا J. Dubois أن اختيار طريق التفسير الاجتماعي للمادة الجمالية ليس فقط اختيار طريقة من بين طرائق أخرى، ولكنه ينطلق من مفهوم خاص للعالم، ويطرح تصورا خاصا أيضا لعلاقة الفن بالإنسان والتاريخ يتجسد فيما يلي:

أ - أن الأعمال الإنسانية محددة بتاريخ، يتميز أوّلا بأنه جماعي.

ب - أن الآثار والأعمال الفنية هي منتجات هذا التاريخ، حتى ولو كان تجسيدها يتم بواسطة حرية فردية.

ج – أن هذه المنتجات ترتبط بممارسات إنسانية لها خصوصيتها، ولكنها ليست متميزة تماما عن الممارسات الأخرى كالنشاطات المادية(15).

يشكل هذا التصور مدخلا لما يمكن أن نسميه مجتمع النص La société du texte، وهو عالم متخيل، أو مجتمع وهمي وثابت، أو على الأقل لوحة اجتماعية داخل النص، وقد ارتبط هذا المفهوم بما أنجزه التفسير الاجتماعي للأدب من خلال قطيعته مع الإيديولوجيا القائمة، وبما يتضمنه في مجال الأعمال الثقافية من أسلوب في الثورة الذهنية، وما يتطلبه أيضا من استقصاءات طويلة وعسيرة أحيانا تذهب نحو العمق، وتضع على الدوام في مواجهتها النص وسياقه التاريخي.

ضمن هذا المنظور يصبح كل متخيل سردي كونا مختصرا تملأه الكائنات الحية والأشياء وأماكن السكن والمقاطع الزمنية ... إلخ، وكل قصيدة –مهما كانت قصيرة– أسلوبا لصنع عالم انطلاقا من القيمة الرمزية للكلمات الأشياء، وبهذا يستطيع التفسير الاجتماعي للأعمال الأدبية أن يتجاوز نظرية الانعكاس وكذا مقولة الإيهام الواقعي.

2-2- يعد كلود دوشيه Claude Duchet أكثر الدارسين تبنيا لمصطلح السوسيونقد sociocritique، وأكثر توجها نحو النص، حيث يرى أن مصطلح سوسيونقد في معناه الضيق يتجه أولا نحو النص آخذا بعين الاعتبار مفهوم الأدبية، ولكن كجزء مكمل لتحليل سوسيونصي(16)، يضع في اعتباره أنه في الخصوصية الجمالية في حد ذاتها يكمن البعد القيمي للنصوص، وهذا يقتضي إعادة توجيه التقصي السوسيوتاريخي للخارج نحو الداخل، أي نحو التنظيم الداخلي للنصوص، من حيث أنساق اشتغالها، وشبكات المعنى، وتوتراتها،

ومصادفة خطابات ومعارف غير متماثلة ضمنها، وبإيجاز فإن السوسيونقد يسعى للابتعاد عن شعرية البواقي poétique des restes التي تبين عن الاجتماعي وتكشفه، وعن سياسة المضامين التي تهمل النصانية(17).

هذا التوجه ينتهي بكلود دوشيه إلى تغليب القراءة الأدبية على التفسير الاجتماعي، وذلك أنه في دعوته إلى فتح العمل الأدبي من الداخل، ومعرفة أو إنتاج فضاء متأزم أين يصطدم المشروع المبدع بمقاومات بِسُمك «الآن هنا un déjà là»، و«حدّث قبل un déjà fait»، وبالشفرات والنماذج السوسيوثقافية، وبضرورات الطلب الاجتماعي، وبالنصوص المؤسساتية(18)، كل ذلك لا يمنح أي أولوية أو تميز للقراءة السوسيونقدية، بل يجعلها تتحول إلى قراءة حلولية متشبثة بالنص «لأن النص الأدبي لا يأخذنا إليه إلا ليردنا إلى ما حواليه، ولا يدخلنا إلى ذاته إلا ريثما يخرجنا منها إلى غيره عبر كامل جدلياته»(19).

أما ما يعمق ما ذهبنا إليه ويجلوه في الوقت نفسه فهو استقصاؤه للإيحاءات والمعاني الثواني الكامنة داخل النص وداخل اللغة «داخل العمل [الأدبي] وداخل اللغة: يسائل السوسيونقد المضمر، الافتراضات، اللامقول أو اللامفكر فيه، الصمت، ويشكل فرضية اللاوعي الاجتماعي للنص وإدخاله في إشكالية الخيالي»(20) وبهذا الحد نصل إلى الإقرار بهيمنة الأدبي على الاجتماعي في مقاربة كلود دوشيه السوسيونقدية، وذلك لكون لا وعي النص هو نوع من التداعي الإيحائي، الذي يحدثه النص بفعل خصوصية نظامه الدال، الذي ينقله من مستوى النص الأحادي إلى مستوى النص الجمع المتعدد المعنى.

3-2- ينطلق بيير زيما P.V. Zima في محاولته لبناء سوسيولوجيا للنص أو الكتابة من منظور يسعى إلى تجاوز أطروحات سوسيولوجيا الأدب المتمثلة في:

1 – سوسيولوجيا المضامين، حيث ينظر إلى النص الأدبي سواء أكان مبتذلا أو متعاليا على أساس أنّ له مضمونا قابلا للإدراك، يمكن إبراز معناه الاجتماعي على المستوى الموضوعاتي «الأفكار الاجتماعية في أعمال شارل ديكنز، الأرستقراطية عند بلزاك وبروست».

2 – الممارسات الاختصارية التي تحول النص إلى مجرد نظام مفاهيمي «بنية من المداليل»، أو خطاب خاص حول الواقعة الاجتماعية.

3 – فكرة أن سوسيولوجيا الأدب لا علاقة لها بالنص، لكونها منشغلة بالبنى الخارج نصية(21).

ويدعم توجهه نحو سوسيولوجيا النص بالإشارة إلى أن منظرين كبار لسوسيولوجيا الأدب من أمثال لوكاش وغولدمان وغيرهما لم يهتموا بالأطروحة الشكلانية التي تبني تصورها للنص على أساس «أن الحياة الاجتماعية تدخل في علاقة متبادلة مع الأدب –قبل كل شيء– بواسطة مظهرها اللفظي»(22) وهو ما يبرر التعامل مع النصوص الأدبية كبنى لسانية وأنظمة من الدلائل اللفظية، في حين عمد هؤلاء المنظرون إلى الحديث عن أشكال الوعي، وعن التماثل البنوي، ورؤى العالم، والواقعة التاريخية.

وينتهي بيير زيما إلى الإقرار بأن هذه الأطروحة الشكلانية تلخص بطريقة ما برنامج سوسيولوجيا النص، وأن لها –قبل كل شيء– قيمة إجرائية تجريبية، إذ أننا كلما أحلنا على بنى لسانية «دلالية، تركيبية أو سردية» استطعنا أن نقدم مسوغات قابلة للمراجعة، لكننا عندما نتحدث عن الوعي أو الواقعة التاريخية المنعكسة بواسطة الأعمال الأدبية فإن المراجعة التجريبية تكون صعبة أو مستحيلة(23)، بالإضافة إلى أن تحليل المضامين يكتفي بتفسير التحولات

الموضوعاتية للأدب في علاقاتها بالتطور التاريخي، لكنه لا يقدم تفسيرا لتحولات الكتابة، كظهور الكتابة السريالية، أو انطلاق الرواية الفرنسية الجديدة في ظروف اجتماعية خاصة؛ وهو ما تحاول سوسيولوجيا النص أن تقدم له إجابات من خلال ربطها للنص الأدبي بسياقه الاجتماعي التاريخي، ووصفها للوضعية الاجتماعية وللاهتمامات الاجتماعية كبنى لسانية.

بهذا التوجه يمكن لسوسيولوجيا النص أن تندرج ضمن البحوث الحالية التي تهتم بدراسة الإيديولوجيا كظاهرة لسانية، وبخاصة خطابية (عبر جملية)، لكنها لا تتوقف عند الإيديولوجيا كمفهوم ولكنها تخطو إلى الأمام من إتمام التأليف بين المنظور السوسيونقدي وبين منظور السيميائيات الخطابية، وضمن هذا التأليف المفاهيمي والمنهجي، يدرس زيما تطور الرواية كسيرورة اجتماعية تاريخية ولسانية.

ويرى أن وصف وتفسير ونقد البنى الروائية في إطار سوسيولوجيا النص، يعني الذهاب إلى ما بعد سوسيولوجيا الأدب التي أهملت في الماضي الميكانيزمات النصية، مؤكدا أن المعنى السوسيولوجي لرواية أو لدراما ما لا يجب أن يكون متموقعا في المستوى التقريري dénotatif والوثائقي، أي في مستوى وصف السلوك والطبائع الاجتماعية لحقبة ما، ولكن على مستوى المخطط الدلالي والسردي(24).

على الرغم من سعي زيما لتطوير سوسيولوجيا النص عبر تحليله لنصوص روائية لسارتر، وكافكا، وجيد، وموزيل، ومورافيا، وكامو، وغيرهم والتعامل مع ما تطرحه من ظواهر كإشكاليات لسانية: دلالية وتركيبية (خطابية)، واستقصائه لتطور هذه الظواهر وتحولاتها الدلالية والخطابية من كاتب لآخر، فإنه يعتبر أن سوسيولوجيا النص ليست نظرية متكاملة يمكن تطبيقها على أي نص أدبي، وأن

المقاربة التي طورها من خلال دراسته للتناقض الروائي ambivalence romanesque يتحتم اعتبارها مجرد مجموعة من الفرضيات القابلة للمراجعة إلى حد الآن(25).

وفي هذا السياق فإنه يعمد إلى تحليل روايات: الغثيان la nausée، الحياديين les indifférents، والغريب l'étranger في إطار سوسيولوجيا النص، وهو لا يقصد تبيان الفعالية التقنية لهذا المنهج، ولكنه يتجه مباشرة إلى وصف بعض الظواهر السوسيولسانية، مثل الغموض l'ambiguïté، التعاظل/التناقض l'ambivalence، والحياد/اللامبالاة l'indifférence، محاولا الكشف عن أهميتها بالنسبة للبنى الدلالية والتركيبية للرواية.

وهو بالإضافة إلى تأليفه بين المقاربة الجدلية (النظرية النقدية) وبعض النظريات السيميائية في دراسته من خلال النص الروائي للإشكاليات الاجتماعية والوجودية كإشكاليات لسانية، فإنه من الناحية المنهجية يسعى إلى تعميق التأليف السوسيوسيميائي وجعله قادرا على الاهتمام بالنصوص السردية التخييلية ضمن وضعية سوسيولسانية خاصة وفي علاقاتها بالأحداث التاريخية. أما من الناحية الفلسفية (السوسيولوجية) فيهتم بنظام القيم التي تنتظم مجتمع الرواية، كالمجتمع البورجوازي الذي يعد مجتمعا فرديا متدهور القيم بسبب آليات السوق والصراعات الإيديولوجية، حيث يؤدي تفوق قيمة التبادل على القيم النوعية (الجمالية، الأخلاقية والمعرفية) إلى تفشي نوع من الغموض قد بدأ ينمو باستمرار مع الاتجار في كل مجالات الحياة.

والملاحظ هنا -كما يرى زيما- أنه منذ الثورات البورجوازية الكبرى كان أصحاب الإيديولوجيات يقومون بردود أفعال على هذا الغموض المتنامي بإبداع أساطير مثنوية (سياسية، دينية، وجمالية)، توظف في تعبئة الجماهير، ولكنها لا

تسعى إلى تكريس نظام القيم وجعله أكثر ثباتا، حيث تنتهي -في الغالب- إلى جعل القيم الفردية تفقد سمعتها وكذلك الكلمات التي تعينها، وأن تخلق أوضاعا تصبح فيها القيم متعارضة، ويتجلى هذا التعارض بوضوح أكثر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في نصوص نيتشه، وبروست وكافكا وجيد ... إلخ حيث تكشف لنا هذه النصوص كيف تتحول الحقيقة إلى وهم، والحرية إلى عبودية، والإنسانية إلى حيوانية، والزهد إلى إفراط، والشجاعة إلى جبن ونذالة ... إلخ، ومع تطور التحليل النفسي يكتشف الإنسان أن الحقيقة مزدوجة، أو أنها غير موجودة، ثم تأتي الرواية الوجودية لما بين الحربين (سارتر، كامو ..) حاملة بصمة هذا التناقض الدلالي، ولكنها تذهب بعيدا في رد فعلها على مقصدية الأزمة السوسيوثقافية، وتصبح شاهدة على وضعية سوسيولسانية، تفقد فيها الكلمات معانيها وتفتح منظور الحياد /اللامبالاة الدلالية، واللامعنى(26).

وخلاصة القول: إن زيما من خلال تطويره لسوسيولوجيا النص، لم يكن معنيا بالبحث عن الحقيقة التي هجرها نيتشه ولا بمحاولة بلورة مفهوم للحقيقة الموضوعية في مملكة الخرافات وإنما كان مهتما أكثر بدراسة إشكاليات النص الروائي كإشكاليات لسانية: دلالية وتركيبية (خطابية) وربط النص بسياقه الاجتماعي التاريخي من خلال التعامل مع اللغة لا كنظام محايد وثابت ولكن ككوكبة مشعة وديناميةموسومة بتعارضات جماعية متمفصلة على مستوى مخطط اللغة والبنية الخطابية، يسميها زيما الوضعية السوسيولسانية، وهي وضعية متغيرة باستمرار على المستوى المعجمي والدلالي، تتمظهر في شكل تفاوت بين اللهجات الاجتماعية sociolectes ولغات المجموعات، حيث يسهم هذا التفاوت في التعدد الدلالي والمعنوي والإيديولوجي داخل النص، وذلك أن كل كلمة تدخل إلى

النص تكون محملة بمحتوى ومعنى إيديولوجي، وكلما ازداد تنوع المعجم اللغوي داخل النص كان النص أكثر ثراء وتنوعا، واقترب من مفهومنا للنص الجمع، النص الذي يقيم من خلال بنيته اللسانية (الخطابية) روابط مع البنى السوسيواقتصادية والثقافية ويتجاوز كونه كلية مغلقة وينفتح على حوار متعدد الأبعاد مع نصوص الثقافة والمجتمع والتاريخ.

الهوامش:

(1) – Lucien Goldman, Le dieu caché, Tel Gallimard, 1959.

(2) – جاك دوبوا، نحو نقد أدبي سوسيولوجي، ت. قمري البشير، ضمن كتاب البنوية التكوينية والنقد الأدبي (مؤلف جماعي)، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1984، ص 75.

(3) – المرجع السابق، ص 75-76.

(4) – المرجع السابق، ص 42.

(5) – رولان بارت، درجة الصفر للكتابة، ت. محمد برادة، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ودار الطليعة، بيروت، ط1، 1980، ص 33.

(6) – P.V. Zima, Littérature et société, pour une sociologie de l'écriture, in théorie de la littérature, ouvrage coll présenté par A. Kibédivarga, Picard, Paris, 1981, p. 282.

(7) – Op. cit., p. 283.

(8) – J. Dubois, Sociologie de la littérature, in méthodes du texte, ouvrage coll dérigé par Mauria Delcroix et F. Hallyn, Duculot, Paris 1987, p. 288.

(9) – Claude Duchet, Sociocritique, Nathan, Paris 1979, p. 5.

(10) – Op. cit. p. 5, cité par Lucien Goldmann, structures mentales et création culturelle, éd. Anthropos 1970, p. 468.

(11) – Claude Duchet, Sociocritique, p. 4.

(12) – Jacques Dubois, Sociologie des textes littéraires, in La pensée (revue) no 215, octobre 1980, p. 85.

(13) – Roger Fayolle, Quelle sociocritique pour quelle littérature? In sociocritique, op. cit., p. 215.

(14) – Op. cit., p. 215.

(15) – J. Dubois, La sociologie de la littérature, In méthodes du texte, p. 288 et 289.

(16) – Claude Duchet, Sociocritique, p. 4.

(17) – Op. cit., p. 4.

(18) – Op. cit., p. 4.

(19) – توفيق بكار، شعريات عربية، ج 1 ، دار الجنوب للنشر، تونس 2000، ص 106.

(20) – Claude Duchet, Sociocritique, p. 4.

(21) – P.V. Zima, Littérature et société, op. cit., p. 290

(22) – P.V. Zima, L'indifférence romanesque, Sartre, Moravia, Camus, le sycomore, Paris 1982, p. 17, cité in J. Tynianov, de l'évolution littéraire, p. 131.

(23) – Op. cit., p. 17.

(24) – Op. cit., p. 12.

(25) – Op. cit., p. 15.

(26) – Op. cit., p. 14.